# فى معركة الاصلاح الاجتماعى

## إجرام الأحداث

للأستاذ فتح الله المرصفى

مفتش التعليم بمصلحة السجون

### لمحة تاريخية :

معاملة الأحداث فى العصور الأولى :

يحدثنا تاريخ الإصلاح الاجتماعى فى غير بلادنا ، عن معاملة الأحداث المجرمين ، منذ العصور الأولى ، بأنها ليست بأقل من معاملة المجرم البالغ فى شىء ، من حيث استعمال وسائل القمع والانتقام . فمنذ سنة ١٨٠١ كان الطفل فى بلاد الانجليز يعدم شنقا وهو فى سن العاشرة إذا ارتكب جريمة سرقة ملعقة من مسكن . وفى مايو سنة ١٨٣٣ ، حدث أن اتهم غلام فى سن التاسعة وحوكم أمام هيئة المحكمة بتهمة أنه دخل مسكنا وسرق بنسين اثنين من دولاب ، حيث قضى عليه الحكم بالإعدام . ومن المأثور قديما عن حادثة تاريخية فى البلاد التركية ، سنة ١٥٩٧ ، من نهاية القرن السادس عشر ، عن المرحوم مراد باشا القاووجى ، أى صاحب البئر وقد استدعاه السلطان من حرب المجر ، وكان عمره ٩٠ سنة وقلده الصدارة العظمى ، وناط به تطهير الأناضول من الأشقياء ، وكان فى مهمته هذه يحتفر حفرة بقرب خيمته يعدم فيها الأشقياء . وفى يوم لمح شقيا يردف على حصانه طفلا ، فأمر بإحضار الطفل ، وعلم من الصبى ، أن الفقر هو الذى رمى به و بوالده فى أحضان الأشقياء ، ولكن مراد باشا هز رأسه ، وأمر بتسليم الصبى للجلاد ، ولكن الجلادين استعفوا عن أداء هذه المأمورية استنكارا لإعدام صبى معدم ، فما كان من مراد باشا ، إلا أنه أخذ الغلام إلى حافة الحفرة وخنقه بيده وألقاه فيها ، ثم عاد إلى مجلسه وهو يقول : — " إن منع الفساد ورفع الشرور لا يكون بالرحمة ، بل بالبتر والازالة " .

### سجن الأطفال :

أخذ القوم فيما بعد من أمم العالم بسجن الأطفال مع كبار المجرمين ، جنبا إلى جنب ، فى السجون العمومية ، واستمرت هذه الحال حتى نهاية القرن الثامن عشر ، و إلى القرن

التاسع عشر . وقد كانت مصر والبلاد الأوربية وغيرها فى هذا سواسية ، حتى أن كل من زار سجنا من السجون المصرية سنة ١٨٩٤ ، كان يقع نظره على عدد من الأطفال ، ليس بالقليل .

## الاحصاء :

وانه لجدير بنا فى هذا المقام ، ونحن فى سنة ١٩٤٢ من القرن العشرين ، أن نحصر مئات الأطفال وعشرات الألوف ، من نزلاء السجون ، أو من يزجون فيها سنويا بين عتاة الاجرام ، فضلا عمن يرسلون إلى الاصلاحيات ، لا لذنب جنوه سوى ما اقترفوه من إثم كان سببا فى الحكم عليهم . وإنه رغم ما يقضى به قانون العقوبات المعدل فى سنة ١٩٣٧ ، بعدم سجن الأحداث من سن السابعة ، حتى الخامسة عشرة ، فإنه لا يزال يزج فى السجون العمومية ، المئات من الأطفال . ولست أريد أن أثقل على القراء بما أتت به الاحصاءات العامة للدولة ، من حيث إحصاء سجن الأحداث ، أو ما ذيلت به التقارير السنوية لمصلحة السجون من إحصاءات ، بيد أنى أضع أمام عيونكم مجملا خاطفا لأرقام الأحداث فى السجون .

سنة ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٣٢ ، مجموع الأحداث ٤٥٦٧٥ منهم ٦٤٨ بنتا .

المسجونون فى السجون ، والإصلاحيات ، ومن نفذت فيهم عقوبة الجلد :

( ١ ) ٢٥٩٦١ سجنوا منهم ٤٥٠ بنتا .

( ٢ ) ٢٣١٨ ألحقوا بالإصلاحيات منهم ١٩٤ بنتا .

( ٣ ) ١٧٣٩٦ جلدوا منهم ٤ بنات .

و بمقارنة هذه الأرقام لخمس سنوات خلت ، من سنة ١٩٢١ — ١٩٢٥ يتبين لنا أن هناك زيادة لا تقل عن ٣٥٦١٨ منهم ٤١٥ بنتا .

وعن إحصاء المسجونين من هؤلاء الأحداث من البنتين ١٩٣٩ ، ١٩٤٠

وجد ٤٤٠٧ منهم ٤١٦٠ غلاما ، ٢٤٧ بنتا فى سنة ١٩٣٩ ؛

ووجد ٢٢٠٨ « ١٦٨٨ « ، ٥٢٠ « ١٩٤٠

يضاف إلى هؤلاء ٥٢١ سجنوا فى السجون المركزية : ٤٧١ غلاما و ٥٠ بنتا .

هذا عدا من ألحق من الإصلاحيات ، فى غضون هاتين السنتين ١٩٣٩ ، ١٩٤٠

هؤلاء الأحداث جميعا فى سن التعليم الأولى ، أى من سن ٧ إلى ١٥ سنة .

وفوق هذا ، فإن فى إحصاء المسجونين من الشبان والشابات من السجون العمومية ، ومن هم فى سن ( ١٦ — ٢١ ) سنة ، ما يلفت النظر إلى أن هذه الطبقة من الاصلاح : طبقة إصلاح الشبان والشابات — فى مصر مفقودة ، رغم ما لهؤلاء الشبان من خطورة فى محيط الجريمة والمجرمين . وأذكر أن مصلحة السجون ، قامت بإحصاء عام لهؤلاء الشبان فى سنة ١٩٢٦ ، فتبين أن مجموعهم لم يتخط ٢٦٠٠ شاب ، غير أن تقارير السجون السنوية وما أتت عليه من إحصاء لسنوات ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ يدل دلالة واضحة على أن تعداد هؤلاء الشبان فى السجون يتزايد يوما بعد يوم ، وسنة بعد أخرى .

وقد كان إحصاء سنة ١٩٣٩ : ١٥١٥٨ شابا وشابة منهم ٨٠٨ فتيات .

وسنة ١٩٤٠ : ١٨١٢٩ » ٧٤٦ فتاة .

على أن هـذا الأمر — وأقصد به حبس الأطفال والشبان فى السجون — قد فرغ من بحثه العالم المتمدين ، بل أصبحت السجون فيه أشبه ما تكون بمعاهد منها إلى حصون أو معاقل .

## الطفل الشريد :

أما البواعث العامة لتشرد الأطفال بيننا ، فترجع فى الغالب إلى عوامل أهمها :

( ١ ) عدم استقرار سياسة التعليم الإلزامى ، مع الشدة التامة فى معاملة الأحداث من أصحاب المصانع الأهلية .

( ٢ ) عدم وجود تشريع كاف لحماية الطفل ورعايته .

( ٣ ) عدم توثيق الروابط الزوجية ، مما يؤدى إلى الطلاق وسهولة الزواج بين الطبقات الفقيرة على وجه خاص .

( ٤ ) هجرة الكثيرين من سكان الريف إلى المدن ، لكسب العيش ، وإهمال الأطفال بل وتسريحهم .

( ٥ ) إكراه الأطفال على الخدمة فى المنازل ( صغار الخدم ) مع القسوة فى معاملتهم ، وهذه مشكلة قائمة بذاتها .

## الأطفال الشواذ :

إن بيننا من الأطفال الشواذ ، ومن بينهم الهمل وصغار المجرمين ، ما يربو على ١٥٠٠٠ طفل وقد عنى الدكتور كلباريد الخبير الفنى ببحث وتقدير حالة التعليم فى جميع مراحله فى مدارسنا ، فى سنة ١٩٢٨ حيث انتدبته وزارة المعارف لهذا الغرض . وقد انتهى إلى

أن مستوى الذكاء تخطى الحدود المألوفة ، وقد عزا ذلك إلى عوامل أهمها : عدم وجود فرق خاصة للأطفال المتأخرين والشواذ الذين يتابعون دروسهم مع الأطفال العاديين جنبا لجنب ، وإلى أن قال : " وإذا ضوعف الشذوذ بفساد فى الأخلاق ، كنزعه إلى السرقة والإجرام ، فمن المحتم حجز المصابين بهذه الآفات فى بيوت خاصة بإصلاح الأخلاق ، أى معاهد الإصلاح " . ولعل أن يأتى اليوم القريب ، ليلقى الطفل الشاذ فى مصر من العناية ما لقيه أمثاله من ضروب الإصلاح ، فى غير بلادنا ، ومن زمن بعيد — وما نرجو أن يكون لهذا أثر فى كفاح الجريمة والوقاية منها ، وبين طائفة بيننا ، كان إهمالهم ولا يزال أشد خطرا علينا وعلى أنفسهم .

## إجرام الأحداث :

أما عن الجريمة عند الأحداث ، فان من يتابع حياة العتاة من المجرمين ، وتحليل شخصياتهم يتحقق أنهم كانوا بالأمس أطفالا هملا ومجرمين صغارا ، كما أيد الإحصاء بكل وضوح أن رجل الإجرام سلالة من الطفولة ، فغلام اليوم المتشرد الشريد الذى يعبث بالأمن والفار من وجه البوليس ، هو ذلك المجرم الا تيد ابن الغد .

حقا إن السرقة قد تجعل من الطفل — بالزمن — لصا خطيرا . وإنى أعتقد أن ما يأتيه هؤلاء الأطفال من الجرائم فى حدود القانون يوشك ألا يكون له أثر ، إذا ما أخذوا فى صباهم تربيتهم عقليا وخلقيا وجثمانيا التربية الحقة ، ولكان هذا أدعى إلى تكوينهم ، إصلاح حالهم ، فيقدرون أنفسهم ، وتأمن البلاد شرهم . وفى هذا يقول الدكتور سرل بيرت فى بحث مستفيض عن الأطفال والجريمة فى مؤلفه : ( المجرم الصغير ) : " إنه لمن السهل بل من المأمول جدا ، كما أنه من الواجب المبادرة والإسراع إلى الإصلاح أو على الأقل ، العمل على إصلاح المجرم الصغير عند نشأته " .

## طوائف الأحداث :

هدتنا الخبرة والبحث إلى أن أخص طوائف الأحداث بيننا ثلاث :

أولا — فريق الأحداث المفطورين على النباهة والذكاء ، الذين يستخدمون مواهبهم هذه فى الخداع والمكر إذ يلجئون الى الغش والنشل والسرقة والنصب والاحتيال . ولهم من ذكائهم ما يمهد لهم سبل الافلات والهرب . هؤلاء يجب أن نعنى بأمر علاجهم ، بما يتناسب وحالتهم ، حتى تهذب فيهم غرائز حب النفس والأثرة والشره ، وما يلازمها ، وليستبدلوا بها الفضائل ، وهم إن عنى بشأنهم ، استطعنا أن نجعل منهم مواطنين ينفعون أنفسهم والمجتمع .

ثانيا — طوائف الأغنياء من الأحداث ، فهم وان كانوا أقل خطرا من الفئة السابقة ، وأسلس قيادة ، إلا أن اختلاطهم بغيرهم من النبهاء يؤثر فيهم تأثيرا لا يجدى معه تقويم أو علاج .

ثالثا — ضعاف العقول من الأحداث : وهؤلاء وان كانت حياتهم عديمة الفائدة ، إلا أن خطرهم أشد وأسوأ مغبة ، لا على أنفسهم ، بل وعلى المجتمع ، وهذه الطائفة أولى من سواها بالحاق بمعاهد لا تقل فى نظامها ، عن أن تكون مستوصفات ، أكثر من أن تكون معاهد تأديبية .

## أثر العودة الى الاجرام بين الأحداث :

إن أخص العوامل المشجعة على التمادى فى الجريمة بين الأحداث والشباب على السواء : سوابق الأحداث : وما يقصد بها : العودة إلى الأجرام ، تبدأ هذه الحلقة :

( ١ ) من سوء الخلق الى ( ٢ ) القبض على الطفل الى ( ٣ ) اتهامه ومحاكمته ( ٤ ) فحبسه ، سواء أكان فى السجن أم فى إحدى دور الاصلاحيات .

( ا ) ومن المقرر أن غالبية المجرمين المعتادى الاجرام ممن بدءوا حياتهم الاجرامية ، قبل سن العشرين . رجعت إلى فحص حالة ١٠٥٠ مجرما ، ممن كانوا موجودين بإصلاحية الرجال عام ١٩٣٩ فكان من بينهم ٢٣٧ مجرما ، سبق أن كانوا بإصلاحيات الأحداث ، أى أنه حوالى ٢٢ ٪

(ب) كما أن هناك أحداثا تقدموا الى المحاكمة بتهمة السرقة وغيرها من الجرائم ، وكثيرا ما تصدر ضدهم أحكام الوضع بالاصلاحية . ولم ينفذ عليهم الحكم مطلقا ، لعدم وجود محال خالية بالاصلاحيات ، وقريبا صدرت أحكام ضد ٤٦٧ غلاما ، من محكمة أحداث الاسكندرية ، ولم يتيسر وضعهم بالاصلاحيات . إذ أنه لم توجد محال خالية إذ ذاك ، على أن هذا خلافا لما يصدر من أحكام ضد الأحداث ، من محكمة أحداث القاهرة ، وغيرها من محاكم القطر ، ولم يتيسر تنفيذها لعدم وجود محال خالية فى دور الاصلاحيات .

فاذا أغفلنا بالأمس وتهاونا فى إطلاق سراح أمثال هؤلاء الأطفال ، لأول جريمة كانت ما كان نوعها وتقديرها ، فاننا اليوم نواجه جيشا عرمرما من الأحداث ، ضاقت بهم إصلاحياتنا بل وسجوننا . واننا بهذا نعمل على تكوين وخلق الآلاف من المجرمين الذين هم مبعث اضطراب الأمن العام والطمأنينة بين الناس . وما دمنا لا نزال نغفل ما عندنا من أبسط وسائل العلاج والاصلاح ، فانا لا نشك نرى تحت أنوفنا جيش الجريمة والمجرمين .

## جرائم الأحداث ،

ثم أنتقل الى جرائم الأحداث وأساليبهم فيها على سبيل الإيضاح فمن جرائمهم :

أولا — السرقة فى النشل :

( ١ ) حوادث نشل المحافظ من الأسواق التجارية ، وخاصة أسواق القطن .

( ٢ ) طفل فى سن السابعة سرق باكو دخان ، على مرأى من رجل البوليس .

( ٣ ) أطفال يتجمعون لسرقة نقود أحد الموازين العامة فى ميدان الملكة فريده .

ثانيا — القتل و إضرام النار :

( ١ ) غلامان اختلفا على صيد سمكة .

( ٢ ) تلميذان اختلفا على قسمة برتقالة .

( ٣ ) غلام قتل آخر لمعاكسة شقيقته ، وآخر انتقم لوالده بالفأس .

( ٤ ) غلامان صبا البترول على ثالث وأحرقاه .

( ٥ ) فتاة أشعلت النار فى منزل مخدومها مرات ثلاث ، وأخيرا ضبطت واعترفت أنها تفعل ذلك حبا منها فى رؤية رجال المطافئ لا بسين خوذهم النحاس .

ثالثا — هتك العرض :

( ١ ) غلام هتك عرض ابنة عمه ، ظنا منه أنه عدل عن زواجه بها .

( ٢ ) هتك العرض بين جماعات الأحداث من الفتيات والغلمان من جامعى أعقاب اللفائف ، وغير هذا مما لا يتسع المقام لحصره و إيضاحه .

و إنى ألحظ أن حالات القتل فى مديريات الوجه القبلى شائعة ، والسرقات والنصب والاحتيال مشتركة فيها بين بلاد الوجه القبلى والبحرى ، إلا أنها فى مدن الوجه البحرى أعم ، والتشرد قد سرت عدواه وطغيانه بين أطفال جميع المدن الكبرى والمحافظات ، وفى القرى والكفور حتى أصبح تطبيق قانون تشرد الأحداث سنة ١٩٠٨ رقم ٢ ساريا مفعوله فى جميع أنحاء البلاد ، بعد أن كان قاصرا على مدينتى القاهرة والاسكندرية وغيرهما من المحافظات .

## لغة الأحداث المجرمين :

للأحداث لغة لا تخرج من أنها لغة البلاد، اللغة العربية، إلا أنها رموز واصطلاحات لها معناها عندهم وفى محيطهم، وللتفاهم فيما بينهم، وعلى مسمع منا دون أن نفهم ما يريدون سواء كنا فى الشارع أو الإصلاحيات أو السجون ، نذكر منها مثلا على سبيل الإيضاح :

| الكلمة | المعنى | الكلمة | المعنى |
|---|---|---|---|
| كتم | خبّ | خنصره | اخنقه |
| بطاطس | ذهب | ديك رومى | عسكرى سوارى |
| بنج | نبيه | خنفسه | خفير |
| بنج ساعة | نبيه جدا | كتكوت | عسكرى |
| تعال يا محمد | اختف فى مكانك | هيف | اسرق |

## المباحث العلمية :

إن أخص ما يفعله المشتغلون منا حين بحث مشكلة الأحداث الهمل وصغار المجرمين، أن يقرءوا شيئا عن نتائج ما قام به الباحثون، ووضعوا من أجله المؤلفات فى مختلف البلدان الغربية ، والتى جعلت فى طليعة طرائق العلاج والإصلاح ( البحث العلمى العملى ) وأنشأت لذلك المباحث العلمية ، وأعدت لها العدة ، وواصلت بحوثها على أساس الغرض الذى من أجله اتجهت العكرة . وليس من المستطاع أن نقرر شيئا نرغب فى إصلاحه قبل بحثه بحثا مؤسسا على الأصول الفنية من وجوهه المختلفة، من حيث فحص العوامل والبواعث النفسية والعقلية والصحية ، التى دفعت بالحدث إلى الاندماج فى الجريمة ، وحتى يمكن والحال هذه تقرير العلاج. ولا بد أن يوجد بمصر طبقة من الباحثين الإخصائيين فى مختلف البحوث الفنية تكون مهمتهم :

( ١ ) إجراء الابحاث والتجارب .

( ٢ ) جمع المشاهدات .

( ٣ ) عمل الإحصاءات .

( ٤ ) فحص الأحداث فحصا دقيقا يمكن معه إقرار العلاج عندئذ . وعندئذ فقط يمكن أن تبنى نظم الإصلاح ومقاومة الجريمة سواء أكانت بوسائل الوقاية، أم بمعاهد الإصلاح، التى يجب أن تكون على أسس من نتائج هذه البحوث .

## تجربة ناجحة لمكتب الخدمة الاجتماعية :

إن ما يقوم به مكتب الخدمة الاجتماعية ، يعد بحق نواة البحث العلمى . ومن أخص مشروعات الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية ، منذ يونيه سنة ١٩٤٠ فى محيط الأحداث الذين يقدمون للحاكم أمام محكمة أحداث القاهرة ، وبعد إجراء البحوث الاجتماعية والنفسية والصحية ، يقترح ما يرجى أن يكون عليه مستقبل الحدث وعلاجه ، وأنه بمثل هذه البحوث تقوم دعائم الإصلاح والتهذيب ، وما يمكن أن نقول إننا نأخذ اليوم بأسباب طرائق العلاج من الوجهة الفنية الصحيحة ، ولو أن هذا البحث يعد فى ذاته خطوة بطيئة فى الاتجاه الصحيح من البحث العلمى ، إلا أننا نرجو لهذا العمل التوفيق والنجاح ، حتى يعم بين جميع الأحداث الذين يقدمون للمحاكمة فى جميع أنحاء البلاد .

## دور إصلاحيات الأحداث :

مر على دور الإصلاحيات ، منذ نشأتها ١٣٤٦٦ غلاما من هؤلاء ٢٠٠٤ فى أحداث المرج منذ أن نقلت فى مكانها الحالى بالمرج ، وفى مدرسة إصلاح البنين بالجيزة ٨٢٨١ وفى إصلاح البنات ١٤٣٨ وأحداث القناطر ٧٤٣ هذا عدا من سجنوا من الأحداث ، منذ السنوات الفائتة ومن فى السجون حتى اليوم . هؤلاء وحدهم ممن كانوا — ولا يزالون — بدور الإصلاحيات ، ومن كان لى حظ من الإشراف على تعليمهم وتهذيبهم ، فى غضون ما يربو على ربع قرن ، فألفيتهم بائسين ضعيفى العقول وضعيفى النفوس ، مهولى الأجسام لا ذنب لهم إلا ما كان من آثار الزوجية والفقر المدقع ، والبيئة الفاسدة ، والأمراض المزمنة واليأس والسآمة ، وموت العاطفة فى قلوب قومهم ، وفقدان روح الدين والأخلاق بين أفراد وجماعات الأمة ، كل هذا وغيره من أهم العوامل فى تكوين هذه المخلوقات التى تعبأ منها جيوش الجريمة ، لمباغتة الأمن العام وإحلال الاضطراب محل الطمأنينة والسلام .

## نتيجة فحص حالات :

فحصت ٣١٦ حالة ، من هؤلاء الأحداث ، ومن المحكوم عليهم بقانون التشرد سنة ١٩٠٨ ، وإنى أجمل فيما يلى أخص النتائج التى توصلت إليها : ١٦٣ غلاما من القاهرة و ١٣٨ من الاسكندرية و ١٢ من بور سعيد و ١٠ من الجيزة .

من هؤلاء ٢٩٩ مسلما ، ١٧ مسيحيا منهم ١٤ قبطيا واثنان من رعايا اليونان وأرمنى واحد ، من هذا الاحصاء ٢٣١ غلاما كانوا يعملون فى المصانع الأهلية ، وقد كانوا موضع

إساءة "الاسطوات" من هذه الورش الأهلية، إلى حد القسوة والعنف. أما عن الآثار الزوجية فكانت النتيجة كما يأتى : ١٤٥ حالة طلاق ، ١٠٩ نزاع عائلى ، ٦٢ وفاة الوالد أو الوالدة أو كلاهما ، ٢٥ أرملة ، ٦٤ مطلقة لم تزوج ، ٩١ مطلقة تزوجت .

وليس بلدنا هذا فريدا فى انتشار هذا المرض الاجتماعى الخطير ، فهو والبلاد الأجنبية سواسية فى الا أنه يختلف تشخيص هذه الأمراض فى التقدم والانحطاط بما عليه اهتمام الحكومات والجماعات والباحثين وقادة الرأى العام ، أما وقد ظهرت فى أفق الحياة المصرية بوادر الأمل والرجاء فيما تجلى من اهتمام الهيئات العاملة على رفع الحياة الاجتماعية فى هذا البلد ، فلا ريب أن خير ما نقوم به هو إقامة المنشئات لرعاية وحماية الآلاف من أطفالنا فى المدن والقرى وبين الطبقات الفقيرة من الشعب ، وعلى مثال تلك المؤسسات التى أقامتها وترعاها رابطة الاصلاح الاجتماعى ، تكون سبل الوقاية ، ووسائل الإصلاح من الجريمة ، فى محيط الأطفال ، إذ من المعلوم أن الوقاية خير من العلاج و إنه مما لا شك فيه ان كل عمل أساسه العقل والعدل والإنسانية ، فإنه ناجح لا محالة ، وفيه الخير الكثير ، وفى هذا فليتنافس المتنافسون .

فتح الله المرصفى

---

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۞ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۞

(قرآن كريم)